هذه الاتفاقات المخدرة في الماضي سنوات وسنوات، حتى وصل الوضع الى ما هو عليه من صعوبة وخطورة. والخوف هو أن لا يؤدي استمرار السير على هذا المنوال الى وحدة وطنية، بل، عملياً، الى كارثة تصفوية.

ويجد هذا الشعور بالخوف ما يبرره في مؤشرات اول «انجاز» (واول الرقص «حنجلة») تمكن دعاة الوحدة الوطنية من تحقيقه؛ ونقصد به البيان المعروف باسم «اعلان براغ»، الذي وقعّه ممثلون عن «فتح» والجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين والحزب الشيوعي الفلسطيني. وحتى لا نترك مجالاً كبيراً للتأويلات والاجتهادات، نسارع الى القول انه في مثل هذا البيان، الذي يبدو متأخراً الى وراء في اساليب العمل الفلسطيني، وفي نهج التفكير الكامن وراءه والطريق التي يشير اليها، يكمن الخطر الشديد.

والمسألة اهم واكبر من ان تترك دون توضيح، ووضع النقاط على الحروف.

عود على بدء

لعل ابرز ما يلفت النظر في اعلان براغ آنف الذكر هو نغمه ـ والاصل في الموسيقى النغم... ـ الذي يشبه تلك الانغام الناشزة التي اعتدنا على سماعها قبل عشر سنوات او اكثر، واعتقدنا ـ بسذاجة ـ بانها انتهت، بعد ان «نضجت» المقاومة، لنكتشف ان اي تغيير لم يطرأ في هذا الصدد. فالبيان، على الطريقة المقاومية التقليدية، يكرر الكليشيهات المعهودة بشأن القاء اللوم ـ حتى عندما يطرأ تغيير في الطقس ـ على الاستعمار والامبريالية والصهيونية... والانكشارية، الخ، ليخلص الى الايحاء بان «الاعتداءات والتهديدات الموجهة ضد ليبيا وسوريا» (كذا !) هي احد الاسباب التي تدفع الى الوحدة الوطنية الفلسطينية !

ولا حاجة للتدليل كثيراً على ان مثل هذه الطروحات، او على وجه التحديد «المنطق» الكامن وراءها، «وتقليد» القاء الكلام على عواهنه دون حسيب او رقيب، هي وصفة المصائب العديدة التي حلت بالعمل الفلسطيني خلال الحقبة العابرة، على ما فيها من مزايدات وبعد عن الواقع وضحك على الذقون. فمن جهتنا، ونعتقد بأن العديد يشاركنا هذا الرأي، يا حبذا لو اتسعت ما تسمى المؤامرات الامبريالية وهاجت وماجت، وعصفت بالنظامين السوري والليبي في آن، واختفت كل رموزها ـ علّ البديل يكون أعقل وأرحم. ولكن لا تحسم الامور بالتمني، وليس هذا هو المهم. فالمهم هو المنطق العجيب الغريب الكامن وراء هذه الرؤية الفذة، والذي يعتبر نظامي الردة السوري والليبي «وطنيين» ومعاديين للامبريالية، وذلك رغم الادوار التخريبية التي يلعبها كل منهما على حدة، الاول في المشرق والثاني في المغرب، او تلك التي يلعبانها سوية، مثل مساعدتهما نظام الخميني، المتخلف والمتعصب، على احتلال اراض في الوطن العربي في العراق (بالمناسبة، اسرائيل أيضاً تلعب الدور ذاته)، مما يعتبر، وفق المقاييس كافة، خيانة قومية من الدرجة الاولى. وليس هنا المجال، على كل حال، لتعداد الموبقات التي ارتكبها ويرتكبها كل من النظامين المذكورين ضد العرب عامة والفلسطينيين خاصة؛ ولكن لا بد من التذكير بانه لم يبق هناك، تقريباً، ولو عنصر او كادر واحد في «فتح»، او المتعاطفين معها، لم يلحق به الأذى، على الصعيدين السياسي والشخصي، جراء السياسات المضللة للنظامين السوري والليبي خلال السنوات الاخيرة. واذا كان الامر كذلك، فما الذي يدفع ممثلي «فتح» في المفاوضات حول اعلان براغ الى الموافقة على ذكر مثل تلك العبارات في